

## المستطرف في كل فن مستظرف

الملوك قال حدثني بعض الشيوخ ممن كان يروي الأخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة أرداد ولم يكن في ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبتها السلطان فلم تحمل شيئاً في ذلك العام ولا تمرة واحدة وقال لي شيخ من أشياخ الصعيد أعرف هذه النخلة وقد شاهدتها وهي تحمل عشرة أرداد وستين وبيه وكان صاحبها يبيعها في سفي الغلاء كل وبيه بدينار .

وحكى أيضاً تعالى قال شهدت في الإسكندرية والصيد مطلق للرعية السمك يطفو على الماء لكثره وكانت الأطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم حجزه الوالي ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد إلى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكانتهم مما ظهر لهم إلى الرعية أن خيراً فخير وإن شرًا فشر وروى أصحاب التواريخ في كتبهم قالوا كان الناس إذا أصبحوا في زمان الحجاج يتساءلون إذا تلقو من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما أشبه ذلك وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البناء والمصانع والضياع وشق الأنهر وغرس الأشجار ولما ولى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام ونكاح كان الناس يتحدثون ويتساءلون في الأطعمه الرفيعة ويتجالون في المناهج والسراري ويعمرون مجالستهم بذكر ذلك ولما ولى عمر بن عبد العزيز كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم ورد كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يختتم وكم يصوم من الشهر وما أشبه ذلك فينبغي لإمام أن يكون على طريقة الصحابة والسلف لهم ويقتدي بهم في الأقوال والأفعال فمن خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة إلا نبي مرسلاً أو ملكاً مقرباً وقد قيل أنه مثله كمثل الرياح التي يرسلها الله تعالى بشراً بين يدي رحمته فيسوق بها السحاب و يجعلها لقاها للثمرات وروحها للعباد ولو تتبع ما جاء في العدل والإنصاف وفضل الإمام العادل لألفت في ذلك مجموعاً جاماً لهذا المعنى ولكن اقتصرت على ما ذكرته مخافة أن يملئ الناظر ويسأله السامع وبه التوفيق إلى أقوم طريق وصل إلى الله عليه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم